الصفحة الثقافية - خاص

ميشال شيحا

شهادات حلو، سركيس، بيهم، خير

الخطر الحقيقي المحدق بنا ما قد يكمن في نفوسنا

ان الموضوع الذي اختاره الاستاذ خليل جميل لطرحه على المشتركين في مباراة مؤسسة ميشال شيحا لسنة ١٩٧٥، هو الاتي: «يجب ان نتذكر ان قوة شعب ما هي في روحه. ان ما يبديه الفكر من مقاومة يتغلب دوما على وسائل العنف، الا انه ما كان لشعب ان يعمر طويلا ان هو وهنت فيه الروح».

ان اختيار مثل هذا الموضوع المأخوذ من احدى مقالات ميشال شيحا لهو موفق لعدد من الاسباب:

اولا: ان هذا النص يعبر تماما عن مبدأ اساسي عاشه وبشر به ميشال شيحا الا وهو المبدأ القائل بأولوية القيم الروحية على كل القيم الاخرى.

ثانيا: ان هذا المبدأ الذي يصلح لكل زمان ومكان يفرض نفسه في لبنان اكثر من اي بلد آخر اذ ان ما يبرر وجود لبنان هو اتصاله المباشر بالقيم الروحية، الايمان بالاله الواحد وبالانسان اي بحريته وحقوقه وكرامته.

ثالثا: نحن نجتاز محنة تفرض علينا، في هذا الظرف بالذات التخلي عن كل الانانيات والتغلب على أسباب الخوف والحقد ومواجهة الاحداث بما يجب ان نتحلى به من محبة وصفاء نية وشجاعة الى ما هنالك من صفات اخلاقية وقيم روحية.

وتجدر الاشارة الى ان الفكرة ذاتها رددها ميشال شيحا في صيغ مختلفة وصور متنوعة، وهو الذي قال:

«ان على الشعوب المهددة بالاخطار ان تتعلم الشجاعة وتتمسك بها في مواجهة الصعاب». وفي صورة أعم ان تعاليم ميشال شيحا تهدف الى اظهار التسلسل في سلم القيم بحيث يكون للقيم الروحية المرتبة الاولى في حياة الشعوب.

فاذا نظرنا الى اوضاع اي بلد، رأينا ان العدالة الاجتماعية التي نصبو اليها، منوطة الى حد بعيد بتوفير الازدهار الاقتصادي الذي يفرض بدوره الاستقرار السياسي اي قيام سياسة مبنية على الحكمة والتجرد والمحبة وبذلك نكون قد وضعنا قبل كل شيء، في رأس سلم القيم ما هو متصل بالروح لا بالمادة.

هذا هو التعليم الدائم لميشال شيحا. ويسعدني ان يكون المشتركون في هذا المباراة برهنوا في معالجة الموضوع المطروح عليهم عن نضج في التفكير وشمول في المعرفة وبلاغة في الاداء.

وفي الختام نستفيد من هذه المناسبة للتأكيد على ان الخطر الحقيقي المحدق بنا، ليس ما يهددنا به الاخرون بل ما قد يكمن في نفوسنا من انانيات وخوف وضعف. فاذا تغلبنا على انفسنا صار في امكاننا التغلب على الاخرين مهما كان شأنهم. فالغلبة في اي صراع أكان صراعاً مع البشر ام مع الاحداث هي، عاجلا ام آجلا، من نصيب من تحلى بالايمان والمحبة والرجاء.

شارل حلو

كان يتنبأ

ميشال شيحا، هذا المجاهد اللبناني العربي الذي كان سلاحه قلمه، ومكنته ثقافته الواسعة والمتنوعة من معالجة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في وضوح تام وسهولة فائقة، واعياً مؤثراتها القريبة والبعيدة.

وهكذا كان في طليعة من دحض ادعاءات الصهيونية في الارض المقدسة واطماعها التوسعية منذ نشأتها. ومنذ عام ١٩٤٧ كان ينادي بصوت عال بأن قرار تقسيم فلسطين كان من أفدح اخطاء السياسة المعاصرة وأن من شأن هذا القرار هز العالم في كيانه وأساسه.

وأن تطلعات ميشال شيحا وترقبه للازمات التي يعيشها العالم في الوقت الحاضر تدل على انه كان بحق الفيلسوف والمفكر الذي يسبر غور الامور ويتنبأ بالاحداث.

أمين بيهم

سياسة

س ـ ما هي الاسس التي بنى عليها ميشال شيحا مواقفه في سياسة لبنان الداخلية؟

ج ـ في رأيي ان ميشال شيحا بنى مواقفه في سياسة لبنان الداخلية على سبعة أسس قد يحق ان نسميها، في هذا الباب، أعمدة الحكمة السبعة.

١ ـ الدستور

ميشال شيحا هو المشارك الاول في دستور ١٩٢٦ وقد جعل على حسب مقتضيات الاحوال السياسية، والاجتماعية الاقتصادية، والتربوية، والثقافية. ولطالما ذكر شيحا لاخوانه ومريديه ان هذا الدستور تتجسد فيه الحقيقة اللبنانية في واقع كيانها وفي مرتجياته وفي طموح شعبه ـ على تنوع فئاته وتعددها ـ الى النمو المتطور، البناء، المبدع. حتى اذا قيل ان هذا الدستور مستورد من الجمهورية الثالثة، كان جواب شيحا هو أن دستور لبنان مستورد من لبنان، من طبيعة لبنان الرائعة الانفتاح على الشرق والغرب.

حسّ مرهف بالعدالة والتناسق والتناغم

شيحا صحافي قبل كل شيء الا انه صحافي من نوع خاص يعرف ان المقالة التي يكتبها اليوم ليست بالضرورة لترمى غدا في عالم النسيان. وهنا لا بد لقارئه ان يشعر كأن حسا خفيا عند ذلك الكاتب ينبئه ان كلماته سيكتب لها البقاء، والبقاء الطويل.

ميشال شيحا لم يؤلف يوما كتابا، وما نسميه اليوم كتبه هو مجموعات مقالات او محاضرات صنفت في اكثرها بعد وفاته.

ميشال شيحا لم يكن يوما فيلسوفا ذا نظريات متكاملة محكمة التنسيق، وبعض ما تراه في مقالاته من تواضع احيانا لا يأتلف لربما مع ما قد يريد بعضهم اليوم ان يصفوه به لرغبة تعرفها عادة مجتمعاتنا التي تغمط حق المبرزين من ابنائها حين تساوي، في الرخيص من المديح، الموهوب وغير الموهوب، المستحق وغير المستحق.

ميشال شيحا مفكر، اديب، شاعر، انسان مرموق تمر به حوادث الدنيا ومشاغلها، سياساتها ومناسباتها، ذكريات الامس وتطلعات الغد فينقل الى الورقة البيضاء امامه ما يعانيه ازاءها في عمق وتوازن ودقة ملاحظة ورهافة حس.

وهو في كل ذلك يلتقي مع كثيرين مثله على خطوط عامة تنير تفكيره وعلى قناعات راسخة اصبحت جزءاً من حياته وعلى ايمان بما لا تستطيع التوافه ان تغير منه وتبدل.

من خلال ذلك يبدو لنا ميشال شيحا مؤمنا بربه وبالحرية المنظمة وبلبنان.

ولبنان شيحا، على صورة ما رآه ابناء جيله، ليبرالي الملامح، ممر الحضارات والافكار والمصالح الاقتصادية ونقطة لقاء الاقربين والا بعدين.

وطن لا يستشيغ لغة القوة ولا يعيش الا بالحوار.

افضل تعريف له انه هو ذلك المزيج من روحانية الشرق القديم المتصوف وجمالات الاغريق وانظمة روما.

ذلك المتوسطي المتوسط الذي يجمعه عبق اللوز والزيتون بموانىء الشاطىء الازرق وينقل الى الغرب أصداء بغداد ودمشق في اسلوب الجاحظ ليرد الجميل اضعافا الى امية وحفدة بني العباس في اسلوب راسين وفولتير وفاليري.

فكيف يمكن من كان كذلك ان يفتح رئتيه لمناخ غير مناخ الحرية والانعتاق؟

اما السياسة في لبنان فقوانينها، بعرف شيحا، قوانين الديموقراطية اللبنانية الطريفة النابعة من طبيعة الاشياء، المتبرمة بالقوالب الجاهزة المفروضة التي ياتينا بها متحمس ناقص المعرفة او سيىء نية همه الاول والاخير ان يقوض الهيكل على رؤوس اصحابه او كاسر مزراب عين تعرف أمثاله قرانا الجبلية منذ القديم ويضحك كبارها في سرهم على ما يعتقده صاحبنا فتحا مبينا.

وميشال شيحا من المتمسكين بالتمثيل النيابي للطوائف اللبنانية كي لا تنقلب الطوائف الى احزاب والسياسة الى حرب طوائف.

وهو من القائلين بوجود خمس ركائز لا محيد للحاكم في لبنان عنها لتستقر الحال:

ـ ضرورة التمثيل النيابي على ما قد يعلق به من شوائب كي لا يعطل دور المجلس وهو دور اساسي في هرم مؤسساتنا

ـ ضرورة وجود قوانين تلائم حاجاتنا الاجتماعية

ـ تنظيم ضريبي ومالي يراعي وضعنا الاقتصادي وضرورة تطوره ضمن مجالات حرية المبادرة الفردية.

ـ الاهتمام بالعائلة وهي خلية المجتمع الاساسية

ـ تربية الناشئة على القيم الروحية والمبادىء الاساسية التي تصون كرامة الانسان وحريته.

ويعتقد شيحا اعتقادا راسخا ان لا تطور ولا تقدم الا انطلاقا من تربية الانسان اللبناني الفرد على الحس الوطني والمجتمعي الذي لا يمكن دولة ان تقوم بدونه.

كما ان شيحا لا ينسى دور لبنان في دنيا العرب ودوره في العالم انطلاقاً مما يحتمه عليه تاريخه وموقعه الجغرافي.

فهذا البلد عليه ان يبقى في رأيه همزة وصل بين الاوطان والحضارات والتيارات التي تلتقي على ارضه وتهب عليه من جوانب الدنيا الواسعة.

يبقى ان شيحا كان من اول الذين شعروا بخطر الكيان الاسرائيلي على المنطقة والعالم قبل سنوات من قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨، وفي مقالاته الكثير الكثير من التنبيه والتحذير من خطر وقع اليوم وتوسع.

حتى ان الحلول التي كان يضعها للقضية الفلسطينية، هي حلول تنبع من نظرته الى الاختبار اللبناني، لا تبعد كثيرا عما يقول به الفلسطينيون اليوم من خلال منظمة التحرير.

هذه هي الخطوط الكبرى لتفكير ميشال شيحا ومعتقداته، هذا المثقف الذي كان سيبتنى ولا شك تعريفا للثقافة جاء به احد المعاصرين حين قال: انها حس مرهف بالعدالة والتناسق والتناغم.

قد لا تروق افكار شيحا كثيرين اليوم في لبنان يأبون ان يقروا بنعمة التوازن والتؤدة.

ولا عجب في ذلك لربما عندما نعود الى اكثر من ربع قرن لنسمع شارل عمون يقول في محاضرة له القاها في قاعة الندوة اللبنانية سنة ١٩٥٠، وكأنه يتنبأ للمستقبل مستهديا بأمثولات الماضي:

«يموت الانسان في سبيل فكرة ولو مجنونة... ولكن يصعب عليه ان يموت في سبيل تسوية حتى لو كانت تلك التسوية علة وجوده».

قد يكون هذا قدرنا الصعب في كثير من الاحيان الى ان يأتي يوم نتخطى فيه منطق التسوية وهو يوم لا اخالنا سنصل اليه في المستقبل القريب.

انطوان خير

الى الادباء: اليوم نلتقي حول مشروعكم

هذا الثلاثاء ٢٢ تموز، تخصصه صفحتنا الثقافية، في سلسلة لقاءاتها، لمشروع الادباء. ولذا تدعو الادباء ممن حضروا لقاءات سابقة، وممن لم يحضروا بعد، الى مكاتبها في «النهار»، الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم.

اطلبوا الاخاء الايرانية من الباعة والمكتبات

شركة التلفزيون اللبنانية، من على القناة ٩، في ١١ تموز قدمت برنامجاً في اللغة الفرنسية حول المفكر اللبناني الكبير ميشال شيحا. ومساء أمس، قدمت الشركة نفسها برنامجاً في اللغة العربية من على القنوات ٧، ٤، ٢، حول المفكر الكبير، واشترك في كلا البرنامجين، «لبنان أمس واليوم»، مع التعديلات الخاصة بكل منهما: مرغريت ميشال شيحا، شارل حلو، أمين بيهم، يوسف سالم، سليم حيدر، جوزف أوغورليان، خليل رامز سركيس، ميشال أسمر، جان سالم، انطوان خير. وأعد الاثنين: دنيز عمون ومونيك سيبيل، وأخرجهما سمير نصري.

وأتصلت «النهار» ـ الصفحة الثقافية بمن أمكنها الاتصال بهم من المشتركين أولئك، اذ ان بعضاً كان سافر بعيد التسجيل التلفزيوني، فاستكتبتهم نصوصاً عن شيحا تقارب ما أذيع عنه عبر النسختين. وتلقت الصفحة الثقافية في «النهار» من كل من الرئيس شارل حلو وخليل رامز سركيس وأمين بيهم وأنطوان خير نصوصهم الآتية التي هي تؤلف صفحتنا الثقافية لهذا اليوم، وذلك من تقليد متبع لدى كل مناسبة مهمة، مثل التي أمامنا.

سياسة لبنان الداخلية
ة انسانه من معرفة وخلق

فلبنان محور لا جسر. ولا ممر، محور تتفاعل فيه ـ أو ينبغي أن تتفاعل فيه وتتحاور ـ أفضل مزايا العالم، والا فقدت الجمهورية اللبنانية مسوغات وجودها دولة مستقلة ذات سيادة.

هذا الروح الدستوري تتبلى لنا اعماله ـ ونتائجه ـ في أكثر العهود التي تقلب فيها لبنان ـ وشيحا ـ طوال ثلث قرن أو يزيد.

٢ ـ العائلات الروحية

ميشال شيحا كانت له علاقات شخصية وطنية متينة، عامة وخاصة، خميمة الاحيان، وصلته برجالات الاسر التي تؤلف عناصر لبنان البشرية، وأكاد أقول جوهر مادته العضوية، والتي كن شيحا أول من أطلق عليها اسم «العائلات الروحية»، في ما أعلم. فمن عمر بيهم عند مستديرة الطيونة (التي ترددت اخبارها في ايامنا هذه السوداء، والتي كانت، في ايام بيهم وشيحا، مستديرة للتلاقي على الالفة والسلام والخير)، الى المقام «البكركي» الذي «مجد لبنان أعطي له»، الى فؤاد ارسلان بين بيروت وبعض الجبل، الى شارل دباس في ولايته الاولى، الى عمر الداعوق في مجلس العمرين، الى نجيب ابو صوان على رأس العدل في لبنان، الى محمد الجسر في رئاسة مجلس النواب، الى بشاره خليل الخوري في السدة العليا وفي ما قبلها، الى كامل وفؤاد حمية في صميم بيروت المحافظة، الى الفرد نقاش مدافعاً عن بيروت في معارك صيف ١٩٤١، الى شارل حلو في «الوجور» وفي ما وراء «الوجور»، الى رياض الصلح في عز الاستقلال، الى الاب شانتور في عوالم اليسوعية، الى شارل مالك في عالميته، الى عبد اللطيف الاسعد في الطيبة، الى عبد الحميد كرامي في قلب طرابلس، الى حبيب طراد وسط آل سرسق، الى سليم تقلا هنا وهناك، الى نجيب عسيران في صيدا، الى الاب يعقوب في الكبوشية وفي خارجها، الى جميل تلحوق في حارة المشايخ في عاليه، الى يوسف الخازن في كسروان، الى جواد بولس في ثوابته التاريخية، الى نظيرة جنبلاط في المختارة، الى يوسف الزين عند نبع الطاسة، الى بولس سلامه في المستشفيات، الى ايوب ثابت في صيوانه في بحمدون، الى بيارد ضودج في رأس بيروت، الى عارف النكدي في عبيه، الى ابراهيم حيدر في بعلبك، الى شبل دموس ما بين زحلة وجلسات الدستور، الى رشيد بيضون في العاملية، الى يوسف سالم في بعض المشاريع الرائدة، الى فيليب صهيون في مختبر صداقاته، الى داود عمون في مجلس الصلح في باريس، الى محيي الدين النصولي في الشوط الاخير من عهده بجريدة «بيروت»، الى أمين الجميل بين وادي النيل وبكفيا، الى الياس طعمه السكاف بالقصر في عميق، الى حسين الاحدب في عمرانياته البيروتية، الى علي ناصر الدين وفياً لشهداء الامة، الى أمين تقي الدين في «ألله يا لبنان ما أجملك!»، الى رشيد نخلة في «كلنا للوطن»، الى الندوة اللبنانية على أنها منبر للجامع الثقافي المشترك، وبالطبع، أولا وآخراً، الى هنري فرعون رفيق كل يوم، الى سائر الوجوه التي تتمثل فيها حقيقة وجه لبنان في مختلف الميادين، كأن في تلك الاسماء كلها ـ وفي سواها ـ صورة هي من أتم صور التنوع في الوحدة، وحدة الجذور المتنوعة الفروع.

هذه الوحدة نواة الميثاق الوطني القومي المبني على تعميقنا جغرافية التعارف والتآلف، وعلى توطيدنا تاريخ المعرفة في مختلف أبعاد الكينونة والمصير، وعلى تفاعل العقل منا والقلب في ضمير حي يقظان. وليس في الامكان ان يبنى هذا الميثاق على الحماسة الآنية، لانها ضعيفة الاسس، قصيرة النفس والعمر. ذلك كله توخياً من ميشال شيحا لنمو لبنان في حقيقة التوازن والاستقرار. قال شيحا: ... الا ان موقعنا المميّز، على ما يختصنا به من فوائد وخيرات، ينطوي على قلق ينتاب مجتمعنا وسائر شؤوننا فيجعلنا في غليان مستمر، لكثرة الغرباء الوافدين علينا أو المرتحلين عنا، مما يحدث عندنا حركة دائمة تبعث فينا تغيراً فجائياً هو علة هذا الغليان الذي ينبغي ان نفرغ عليه من هدوء طبيعتنا المتوسطية ما يبرد حدته.

«... فالاستقرار، اذن، هو للبنان القوام الحيوي، وكل ما يهز لبنان يزعزع كيانه. ان لبنان لا توائمه الثورات والانقلابات، انما يصلح له العمل الثابت الواعي المفكر غير المعجل، على اعتدال في شرائعه يوطد اركان هذا الاستقرار:

«يقول الذين يؤمون لبنان أنه من أجمل البلدان. لكن مناظره الطبيعية الملهمة يشوهها التشويش الذي نحن فيه والذي مرده الى ان جل اعمالنا تفتقر الى روح الهندسة. وهذا الافتقار الى روح الهندسة تعود اسبابه الى ان معظمنا يخال نفسه مهندساً، حتى لقد كثر فينا المهندسون وقلت الايدي العاملة. فشابهنا جيشاً من القواد، لكن بغير جنود. ومع ذلك فقد امتد بنا البقاء الاف السنين، وكفى بها برهاناً على كوننا أحقاء بالحياة». (صوت الغائب، ص ٤٠ و٤١، منشورات الندوة اللبنانية، بيروت ١٩٥٦).

٣ ـ القيم الروحية

كان شيحا يقول بأن السياسة، فن المستطاع، يجب ان تحتوي فضيلة سقراطية ـ لا أريستوقراطية ـ ترتفع بالشعب الى مستوى الحكم الذاتي الراقي المسؤول. من هنا كان شيحا يؤمن بما للقيم الروحية من حقوق وبما عليها من واجبات لاجل بناء الوطن والمواطن والدولة. والى ذلك كان شيحا، في شاعريته الريفية، يؤمن بالخليفات الجبلية التي تغذي المدينة وتنقذها من مخاطر السهولة والابتذال. وكان يخشى أن تتلاشى هذه الخلفيات عندنا كما تلاشت عند سوانا ممن لم يصونوها، فتصبح المدينة بل المدن اللبنانية ثم سائر بقاع الوطن أرضاً سائبة يعيث فيها من يشاء كما يشاء، فتتفشى بها ضروب الآفات الروحية والمادية. ذلك ان الخلفيات الريفية رمز للارض الطيبة، الجيدة، التي تموت فيها حبة الحنطة لكي تخصب المواسم، والا أجدب الوطن وأمحل بنوه.

٤ ـ الحرية

«الحرية هي في عصمة الدستور» والدستور هو في عهدة من يؤتمنون عليه حكاماً ومسؤولين. ولا شيء أفضل من النظام البرلماني لبلد متنوع السكان، متعدد الطوائف. شيحا برلماني واقعي وعى، قبل غيره، ان البرلمان ـ لا الشارع ـ يجب ان يكون متنفس الشعب، لان الصراع في داخل البرلمان أفضل وأسلم وأعمق فوائد من الاصطراع في الطرقات. لكن شيحا يشدد على ان الحرية المنظمة هي التي يجب ان تسود البرلمان لئلا تتعطل رسالته فتنتقل سلطته الى قوى غريبة عن سجايا شعبنا وعن مصالحه افراداً وجماعات.

ثم ان لشيحا قولا في الحرية يكمل ما تقدّم ذكره:

«... وبين ان نجاحنا الفذ يرد الى الحرية أولا. فالحرية ـ حرية المعتقد والعمل والتنقل ـ انما هي واجب وجودنا. وما دام لبنان محافظاً على حريته هذه، في ما لا يضر سواه، فان أمامه مستقبلا يفوق ماضيه الدهري. اذ الطاقة اللبنانية لا يتاح لها المجال الاوسع الا بالحرية. والحرية اللبنانية حرية انسانية كريمة، لاننا اعجز من ان نؤذي غيرنا، ولان حريتنا ـ أي قدرتنا على العمل الحر ـ هي في النوع لا في العدد». (المصدر نفسه ص ٤١).

وبديهي ان يكون موقف الحرية هذا عميق الانفتاح على الانسان الاخر، وعلى البلد الصديق الاخر، وعلى اخوة البلدان الشقيقة، بل على الانسان من كل أرض وعهد.

٥ ـ مفهوم النظامية

كان شيحا يؤمن بما يقال له النظامية المتسلسلة المراتب والتبعات. ولعل ذلك يرجع الى كلاسيكية شيحا في شخصه وفي عمله العام والخاص ولا سيما في مقاربته السياسة. كانت أصوليته تستند الى المعطيات البشرية والى حقائق الجغرافية والتاريخ والى منطق الارقام من غير ان تبتعد عن مرتقيات التصوف قولا وفعلا.

ويؤذن لي، هنا، ان أذكر، على الهامش، رأي شيحا في النظام الفرنكاني الذي يتردد التحدث به عندنا بين الحين والحين. لم يكن شيحا يعتقد ن ان هذا النظام يصلح لنا في لبنان، بل كان يجد فيه ما يعطل المشاركة الحقيقية المرغوب فيها بين مختلف سلطات الدولة. وذلك ان لمقام الرئاسة الاولى صفة الحكم، والنظام الرئاسي يقحم هذا المقام في النزاعات السياسية والحزبية التي ليس من مصلحة الرئاسة ولا من مصلحة لبنان ان يقحم فيها اللبناني الاول لئلا ينتهي الامر الى مواقف سلبية والى اختلال اسباب التوازن والى فقدان الاستقرار وهذا نقيض ما يتوخاه المخلصون وفيهم من يطالب بالنظام الرئاسي. وللمناسبة لا بد من التذكير بأن شيحا كان قاسياً على السياسيين محترفي البهلوانيات بقدر ما كان عظيم الاحترام ـ والتكريم ـ لاصحاب المواهب وأرباب الاختصاص.

٦ ـ السياسة أمام الثقافة

كان شيحا يقول ان التربية ولا سيما بدلالتها الوطنية، والثقافة، ولا سيما بدلالتها الانسانية، هما ابوا السياسة. وكان يعجب لسياسة تولد من غير ما أب ولا أم... داخلية كانت السياسة أم خارجية أم بين بين...

وكانت اللغة العربية هي في منهاج السياسة الداخلية عند شيحا. والارجح ان دعوته اللبنانيين الى ان يتقنوا هذه اللغة تستند الى موقف وطني بعيد النظر. ولعل القليلين عندنا يعرفون ـ وقد كان صاحبنا يعمل ليس تدري شماله ما تفعل يمينه ـ ان شيحا هو من الذين تبنوا، في هبة ١٩٤٣، اقتراح جعل العربية لغتنا الرسمية في لبنان. ويحسن ان نذكر قوله «ان العربية هي اللغة المعجزة الشريفة التي يجب علينا، نحن لبنانيي القرن العشرين، ان نتقنها اتقاناً وفياً حتى لا نكف عن تزويدنا العالم العربي بادبائه الاكابر كتاباً وشعراء. غير ان ذلك لا يعفينا ابداً من التشوق الى لغة او الى لغتين عالميتين بغية ان نتقنهما مع العربية، ثم نستعين بهما ـ في لبنان وفي خارجه ـ على الاتصال بالشعوب التي لا تتكلم اللسان العربي، وعلى التمرس بالمحدثات الحضارية، وما أكثرها في هذه الايام! ومن المؤكد ان كوننا على ملتقى الطرقات الدولية يستدعي ان نتقن لساناً عالمياً واحداً في الاقل لئلا تتعطل اسباب التفاهم بيننا وبين العالم غير المتكلم بلساننا». (المصدر نفسه، ص ٤٠).

٧ ـ الايمان بالشعب

كان ميشال شيحا عميق الايمان بالشعب وبسلامة فطرته وبغنى طاقته، عميق الفهم له. والالتزام لقاضياه. أنهى احدى محاضراته في الندوة بهذه الخاتمة التي نتمنى ان نستحقها بعد كل ما قد جرى أخيراً في لبنان. قال: «لبنان بلد صغير، بل هو يلد صغير جداً، ولعله أمة صغيرة، لكن ليس لبنان بشعب صغير».

غير ان شيحا كان يرى ان الشعب، عندنا، يفتقر الى تنشئة وطنية ذات محتوى فكري شامل ينتظم مختلف الاتجاهات ـ وبالتالي مختلف الطوائف ـ في كيان قومي جامع مشترك يؤلف، كما طالما قال شيحا، العائلات الروحية التي لا ينبغي ان تقتصر على النخبة الخاصة، بل يجب ان تنفذ الى صميم الجمهور، لان الاقتصار على الاعتناء بالنخبة دون غيرها يعزلها عن سواد الشعب، بل عن هموم قضاياه، عزل أنشقاق يعرض لبنان ومجتمعه لسلبيات تؤثر في طابعه المميز وفي كثير من أمور مستقبله.

تلك هي، في نظري، خلاصة الاسس التي بنى عليها ميشال شيحا مواقفه في سياسة لبنان الداخلية. وأني لاسمع، من خلال صوت الغائب، توقعات نبوة، فشيحا هو، على البداية والنهاية من عوالم الرؤى، أنسان شعر وأيمان.

خليل رامز سركيس

ابتداء من الاربعاء
٩-٢ ج ظ
اوبتي بوان
الهاتف ٢٦١٨١٨
او بتبوان
الهاتف ٢٦١٩١٩